

وقد بعث في غيوب ذلك الحسن بن قحطبة لأبي أيوب كاتب رسائل المنصور يشافهه ويخبره بأن أبا مسلم يتهم في أبي جعفر المنصور؛ لاحتاط على ما أصيب من معسكر عبد الله من الأموال والجواهر الثمينة وغيرها ، فكتب إليه أبو مسلم وهو على الزاب عازم على الدخول إلى خراسان : إنه لم يبق لأمر المؤمنين عدو إلا أمكنه الله منه ، وقد كنا نروي عن ملوك آل ساسان أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ، حريون بالسمع والطاعة غير أنها من بعيد حيث تقارنها السلامة ، وإن أبيت إلا أن تعطي نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضنا بنفسي . وأنت في طاعتك [ص: 308] ومناصحتك واضطلاعك بما حملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به؟! وليس مع الشريطة التي أوجبت منك سمع ولا طاعة ، وقد حمل أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها ، فإنه لم يجد بابا يفسد به نيتك وأكد عنده وأقرب من ظنه من الباب الذي فتحه عليك . فإني اتخذت رجلا إماما ودليلا على ما افترض الله على خلقه ، فحرفه عن مواضعه طمعا في قليل قد نعاه الله إلى خلقه ، ففعلت توطيدا لسلطانكم حتى عرفكم الله من كان يجهلكم ، فإن يعف عني فقدما عرف به ونسب إليه ، وإن يعاقبني فيما قدمت يداي ، وبعث المنصور إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي - وكان واحد أهل زمانه - في جماعة من الأمراء ، وإن أبي أن يرجع فقل : إنه يقول : هو بريء من العباس ، إن شققت العصا وذهبت على وجهك هذا ليدركنك بنفسه وليلين قتالك دون غيره ، ولو خضت البحر الخضم لخاضه خلفك حتى يدركك فيقتلك أو يموت قبل ذلك . فلما قدم عليه أمراء المنصور بطلان دخلوا عليه ولاموه فيما هو فيه من مناوذة أمير المؤمنين ، فكتب إليه المنصور في غيبة أبي مسلم حين اتهمه : إن ولاية خراسان لك ما بقيت . فكتب أبو داود إلى أبي مسلم حين بلغه ما عزم عليه من مناوذة الخليفة : إنه ليس لنا مناوذة خلفاء بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رجع إليه أبو إسحاق قال له : ما وراءك؟ قال : رأيتهم معظمين لك يعرفون قدرك . ما للرجال مع القضاء محالة ذهب القضاء بحيلة الأقوام قال : وما هي؟ قال : إذا دخلت عليه فاقتله ، قال أبو أيوب كاتب الرسائل : دخلت على المنصور وهو في خباء شعر بالرومية جالسا على مصلاه بعد العصر ، وقلت : إن دخل أبو مسلم خائفا ربما يبدو أنه يبدر منه شيء إلى الخليفة ، فإنها مغلة في هذه [ص: 311] السنة؟ فقال : ومن لي بذلك؟ فقلت له : فاذهب إلى أبي مسلم ، فإن أمير المؤمنين يريد أن يوليه ما وراء بابه ويستريح لنفسه . فسار ذلك الرجل - وهو سلمة بن سعيد بن جابر - إلى أبي مسلم ، قال : فكيف بك إذا أمرتك بقتل أبي مسلم؟ قال : فوجم ساعة ، فلما وقف بين يديه جعل المنصور يعاتبه في الذي صنع [ص: 312] واحدة واحدة ، فيعتذر عن ذلك كله فيما كان اعتمده من الأمور التي تسرع فيها . وكان مقتله في يوم الأربعاء لأربع بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة . وكان من جملة ما عاتبه به المنصور أنه قال : كتبت إلي مرات تبدأ بنفسك ، وأرسلت تخطب عمتي أمينة ، وتزعم أنك ابن سليل بن عبد الله بن عباس . لا يقال هذا لي وقد سعت في أمركم بما علمه كل أحد . فقال : ويلك! لو قامت في ذلك أمة سوداء لأتمه الله؛ فقال : وأي عدو لي أعدى منك؟! ثم أمر بقتله فقتل ، [ص: 313] فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر وذكر القاضي ابن خلكان أن المنصور لما عزم على قتل أبي مسلم تحير في أمره؛ هل يستشير أحدا في ذلك أو يستبد هو برأيه؛ ثم إنه استشار واحدا من نصحاؤه في قتل أبي مسلم فقال : يا أمير المؤمنين ، قال الله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا [الأنبياء : 22] . فقال له : لقد أودعتها أذنا واعية